ورقة المخرج المسرحي يفغيني بيساريف المدير الفني لمسرح بوشكين
البحرين – اتحاد جمعيات المسرحيين- مسرح أوال
14 أغسطس 2024

مسرح البلاط الأول:

في غمرة التحولات الثقافية التي شهدتها روسيا القيصرية، برز دور * **البويار - أرتامون ماتفييف** لعب دور المحرك للتغيير. عندما ألهم **القيصر أليكسي ميخائيلوفيتش** بفكرة إنشاء مسرح على الطراز الأوروبي، ليصدر بعدها القيصر مرسومًا ملكيًا بتأسيس ما عُرف بـ **'الغرفة الكوميدية.'**

وفي خطوة جريئة تعكس الانفتاح على الثقافات الأخرى، كلّف **ماتفييف القَسَّ الألماني يوهان غوتفريد غريغوري**، من الحي الألماني، بتشكيل فرقة مسرحية. لم يقتصر دور **غريغوري** على التنظيم فحسب، بل امتد إبداعه ليؤلف مسرحية مستوحاة من **قصة الملكة إستير التوراتية**، والتي حملت **عنوان 'فعل أرتا حشستا.'** Artaxerxes action

في عام 1672، شهد القصر الملكي عرضًا فريدًا لهذه المسرحية. ورغم أن النص الأصلي كُتب باللغة الألمانية، إلا أن العرض قُدم للقيصر باللغة الروسية، في لفتة تجسد التمازج الثقافي الذي بدأ يتبلور في المجتمع الروسي آنذاك.

لكن هذه التجربة الرائدة لم تستمر طويلاً. ففي عام 1676، وبعد رحيل القيصر أليكسي ميخائيلوفيتش، أُغلق المسرح. ومع ذلك، فإن بذرة المسرح البلاطي التي زُرعت في تلك الفترة استمرت في النمو والتطور على مدى سنوات طويلة، لتشكل تقليدًا راسخًا في الثقافة الروسية".

2- المسرح المدرسي:

فِي قَلْبِ مُوسْكُو، ازْدَهَرَتِ الأَكَادِيمِيَّةُ السِّلَافِيَّةُ اليُونَانِيَّةُ اللَّاتِينِيَّةُ، وَفِي أَرْوِقَتِهَا نَشَأَ مَسْرَحٌ مَدْرَسِيٌّ فَرِيدٌ. هُنَا، بَرَزَتِ **الدِّرَامَا المَدْرَسِيَّةُ لِسِيمِيُونَ بُولُوتْسْكِي**، الَّتِي غَدَتْ مَنَارَةً لِلتَّهْذِيبِ الأَخْلَاقِيِّ وَالتَّرْبَوِيِّ. كَانَتْ مَسْرَحِيَّاتُهُ بِمَثَابَةِ مِرْآةٍ تَعْكِسُ القِيَمَ وَالفَضَائِلَ، سَاعِيَةً إِلَى صَقْلِ النُّفُوسِ الشَّابَّةِ وَتَوْجِيهِهَا نَحْوَ الرُّقِيِّ وَالسُّمُوِّ.

3- الفنانون الأجانب الجوالون:

مع اعتلاء **بطرس الأول** عرش روسيا، بدأت صفحة جديدة في تاريخ المسرح الروسي. فقد أسس القيصر **أول مسرح عام ومحترف**، في خطوة جريئة نحو تحديث الثقافة الروسية. وفي سعيه لإثراء المشهد المسرحي، استدعى **يوهان كريستيان كونست من ألمانيا** لإبداع ما أطلق عليه **'الكوميديا الانتصارية.'**

---

*(عضو في الطبقة الأرستقراطية العليا في روسيا القديمة في السياق الأوروبي الغربي تعني - نبيل أو لورد - وكان البويار يشغلون مناصب عليا في الدولة، مثل المستشارين للقيصر وقادة الجيش.)

بيد أن هذا المشروع الطموح واجه عقبات جمة. فمن ناحية، لم يرق **الريبرتوار المسرحي** لذوق بطرس المتطلع دومًا للتجديد. ومن ناحية أخرى، وقف حاجز اللغة عائقًا أمام الممثلين الألمان الذين عجزوا عن تقديم عروضهم باللغة الروسية، مما حال دون تواصلهم مع الجمهور المحلي.

وهكذا، رغم الحماس الأولي، لم يكتب لهذه المبادرة النجاح المأمول، لتبقى شاهدًا على التحديات التي واجهت عملية التحديث الثقافي في روسيا القيصرية".

4- مسرح الإمبراطورية الروسية في عهد إليزابيث بتروفنا:

شهد عهد الإمبراطورة **اليزابيث بتروفنا** تحولاً كبيراً في المشهد الثقافي الروسي، حيث أولت اهتماماً بالغاً بالفنون، وخاصة الفنون المسرحية .فقد قامت بجلب نخبة من فناني المسرح والأوبرا من مختلف البلدان الأوروبية، لتثري الحراك الفني في البلاد .وسرعان ما انضم إلى هؤلاء الفنانين نخبة من المواهب الروسية، ليشكلوا معاً فرقاً مسرحية متميزة.

وفي تلك الفترة، برزت "فرق الهواة" أو فرق الكوميديين المتحمسين"، والتي كانت على عكس الدراما المدرسية، تقدم عروضاً مسرحية بعيدة عن التقيد بالقواعد الكلاسيكية، حيث كانت تقدم قصص حب بسيطة ومباشرة تلبي أذواق الجمهور العام.

وفي الوقت نفسه، برز الشاعر والمسرحي الروسي الشهير **ألكسندر سوماروكوف**، والذي تأثر بالأدب الكلاسيكي الفرنسي .فقد كتب مسرحيته الشهيرة **"خاريف"**، والتي لاقت استحساناً كبيراً من **الإمبراطورة إليزابيث بتروفنا**، مما شجعها على تأسيس مسرح روسي حقيقي .وعليه، قامت بجلب **فرقة الممثل الروسي الشهير فيدور فولكوف** من مدينة **ياروسلافل**، وقامت بتدريبهم في مدرسة خاصة، لتكون نواة للمسرح الروسي.

وفي 30 أغسطس من عام 1756، أصدرت الإمبراطورة اليزابيث بتروفنا مرسوماً يقضي بتأسيس المسرح الروسي، وأناطت مهمة إدارته بألكسندر سومارو كوف.

كما انتشرت في تلك الفترة ظاهرة المسارح الخاصة **" مسارح الأقنان أو العبيد"**، حيث كان النبلاء يقومون باستئجار معلمي مسرح أجانب لتدريب عبيدهم على التمثيل .ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر، صدر مرسوم بافتتاح مسرح في موسكو ويقضي بمنع العبيد من العمل في المسارح، وحصر العمل المسرحي في الأشخاص الأحرار.

5- .فصل الفرق الموسيقية والدرامية:

في عام 1803م، خلال عهد **الإمبراطور ألكسندر الأول**، شهدت المسارح الإمبراطورية فصلًا بين الفرق الموسيقية والدرامية حيث تمّ فصل فرق التمثيل الموسيقي عن فرق التمثيل الدرامي , وقد قُسِّمت الفرقة الموسيقية بدورها **إلى فرقتين :أوبرا وباليه** . ويعود الفضل في هذه الفكرة إلى **المايسترو الإيطالي الشهير كاتيرينو كافوس.**

ولم يحدث هذا الفصل في موسكو بشكل حاسم إلا بعد بناء **"المسرح الصغير في عام 1824م**، حيث انتقلت الفرقتان الموسيقية والدرامية إلى مسرحين مختلفين.

وفي مطلع القرن التاسع عشر، شهدت كل من سانت بطرسبرغ وموسكو ولادة المجلات المسرحية الأولى .وبالإضافة إلى تقديم أعمال المؤلفين الأجانب، وشهدت المسارح عروضًا لأعمال **عظماء الأدب** الروسي **أمثال بوشكين وغوغل وليرمونتف** وغيرهم من الكتاب الأقل شهرة .وتطور هذا الحراك الفني نحو اتجاه اجتماعي واضح.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر لعب أوستروفسكي دورًا بالغ الأهمية في تشكيل المسرح الدرامي الروسي. وشكّلت أفكاره المبتكرة (مثل التعبيرية، والاعتماد على العمل الجماعي للممثلين بدلاً من التركيز على ممثل واحد، والأهمية القصوى للغة) أساسًا للمسرح الدرامي الروسي الحديث.

6- ولادة فن الإخراج المسرحي:

شهد عام 1898 ميلاد مسرح موسكو الفني، الذي شكل نقطة تحول في تاريخ المسرح الروسي والعالمي. اتجه هذا المسرح نحو الواقعية، واستند في نظرياته إلى **أفكار المخرج الروسي الشهير كونستانتين ستانيسلافسكي**، والتي **أصبحت مرجعًا أساسيًا في تدريب الممثلين حول العالم**. **فقد وضع ستانيسلافسكي "نظامًا" متكاملاً لتدريب الممثلين، أسس من خلاله علمًا حديثًا للمسرح.** علاوة على ذلك، يُعتبر ستانيسلافسكي **من أوائل من أسسوا مهنة الإخراج المسرحي وحولوها إلى فن قائم بذاته.**

قام ستانيسلافسكي، بالتعاون مع **زميله فلاديمير نيروفيتش-دانشينكو** وتلميذه **يوجين فاختانغوف، بإحداث ثورة في فن الإخراج، حيث قدم رؤية جديدة للمسرحية كعمل فني متكامل**. فاعتبر أن المسرحية يجب أن **تكون وحدة فنية متكاملة، حيث تتضافر جميع العناصر فيها - مثل أداء الممثل، والحركات الإيمائية، والديكور، والموسيقى - لتحقيق فكرة واحدة موحدة.**

استندت أعمال مسرح موسكو الفني في بداياتها على أعمال كبار الكتاب الروس **مثل تشيخوف وغوركي وأندرييف**، وركزت على دراسة النفس البشرية.

أما المخرج **ميخائيل تشيخوف**، وهو أحد تلامذة **ستانيسلافسكي**، فقد اهتم بتطوير أشكال مسرحية جديدة، خاصة في مجال الحركة المسرحية، **حيث ابتكر نظامًا سماه "البيوميكانيكا المسرحية"**. سعى تشيخوف إلى كسر القيود التقليدية للمسرح الأكاديمي، وقدم أفكارًا ثورية في هذا المجال.

في عام 1914، أسس **يوجين تايروف** مسرحًا كاملاً، وركز على تطوير المسرح كفن شامل يجمع بين عناصر مختلفة مثل الأوبرا، والباليه، البانتوميم، والمسرح الكلاسيكي.

7- المسرح بعد الثورة الروسية عام 1917:

بعد الثورة، تم تأميم جميع المسارح، سواء كانت إمبراطورية أو خاصة، وتحولت من مؤسسات تجارية إلى مؤسسات ثقافية. شهدت هذه الفترة نموًا هائلاً في عدد المسارح، وظهرت فئات جديدة من الجمهور. كما انتشرت صيغة المسرح الدائم، حيث يقدم المسرح مجموعة متنوعة من العروض على مدار العام.

8- المسرح الروسي في النصف الثاني من القرن العشرين:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين ظهور العديد من المخرجين الرواد مثل **أوليغ بيفريموف، يوري ليوبيموف،** جورج تولستوي، **ومارك زاخاروف**. وقد ساهم هؤلاء المخرجون في تطوير المسرح الروسي وتقديم رؤى جديدة ومبتكرة.

9- المسرح الروسي المعاصر:

يَتَمَيَّزُ المَسْرَحُ الرُّوسِيُّ المُعَاصِرُ بِتَنَوُّعِ أَشْكَالِهِ وَانْفِتَاحِهِ عَلَى الثَّقَافَاتِ الأُخْرَى. فَهُوَ يَجْمَعُ بَيْنَ التَّقَالِيدِ الكِلَاسِيكِيَّةِ وَالِابْتِكَارَاتِ الحَدِيثَةِ، وَيَسْتَكْشِفُ مَوْضُوعَاتٍ مُتَنَوِّعَةً تَعْكِسُ التَّغَيُّرَاتِ الَّتِي يَشْهَدُهَا المُجْتَمَعُ الرُّوسِيُّ وَالعَالَمُ أَجْمَعُ.

ترجمها من الروسية: أنور الحايكي